

همسة ناصح... إلى أهلنا في أرض الجزائر

للشيخ أبو عبد الله عثمان حفظه الله



بسم الله الرحمن الرحيم
همسة ناصح.. إلى أهلنا في أرض الجزائر

كل متأمل في أحوال أمتنا المسلمة، وخاصة في هذه الأيام، بعد العودة الرشيدة للأمة إلى سبيل الجهاد والمدافعة، وفك قيود التبعية التي غلت بها منذ زمن بعيد، يدرك أن أمرا عظيما قد هيئه رب العالمين وقدره، وأن هذه الأحداث المتسارعة هي إرهابات وتبشير النصر والتمكين بإذن الله تعالى... وليس هذا تفاؤلا مفرطا أو حلم يقظة! ولكنه حقيقة يبصرها كل مؤمن وكل مجاهد نظر إلى الواقع باعتبار.

ولكن ما هو الجهد الذي بذله المجاهدون في الجبهات هنا وهناك؟ وما هو دور عموم المسلمين في أنحاء العالم؟

فإن المؤمن يعلم أن للنصر سنا شرعية وكونية، فالوعد بالنصر والتمكين حق في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذا الوعد لا يتخلف ولا يتأخر لمن حقق أسبابه ولم يخالف سنن الله القدريّة...

في حقيقة الأمر لن أتحدث عن جهد وجهاد المجاهدين وما قدموه في سبيل الله من تضحيات على طول الطريق ومنذ زمن غير قريب..

ولن أتحدث عن الشعوب المسلمة التي انتفضت وقامت ضد الحكام العملاء الخونة، رغم أن هذه الثورات ليست كل الجهد المطلوب من عموم المسلمين.. فلا يزال ينتظرهم المزيد من البذل والعطاء مع ما يلزمهم من تنظيم ووعي، حتى لا تذهب تضحياتهم سدى، أو يستغلها تجار الدماء المنتهزين لمثل هذه الفرص عبر التاريخ، وهم كثر، لا كثرهم الله.

ولكنني أحببت أن أتوجه بكلامي إلى أهلنا في الجزائر؛ نصحا وإشفاقا عليهم، ما نسألهم عليه من أجر وإنما أجرنا على الله.

فقد كان الظن أن تهب جموع الشباب المسلم في الجزائر إلى نصرة الدين والتحرر من الذل والخنوع؛ وقد هبّت رياح عاصفة على العالم الإسلامي، ولعل من أشدها سب نبينا عليه الصلاة والسلام -بأي هو وأي- في حملات متكررة؛ هزّت عموم المسلمين وأثارت غضبهم واستنكارهم، ولكن ما الذي دهى أهلنا في أرض الجزائر؟ وما كان شعورهم وهم يرون إخوانهم المسلمين من عرب وعجم قد خرجوا وانتفضوا حمية لدينهم ودفاعا عن رسولهم صلى الله عليه وسلم بالنفس والنفيس.

ولا يخفى على كثير من الناس وخاصة أهل الدعوة منهم، أن أهل الجزائر كان لهم دور في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله، وأن روح الجهاد لم تمت في هذا الشعب المسلم منذ زمن قديم، ومثال ذلك مناصرته لقضايا المسلمين؛ لأفغانستان في حربها ضد الروس، وكذلك قضية البوسنة والشيستان، ومشاركته في كل أرض قامت فيها سوق الجهاد، مما يدل على أن هذا الشعب أبيض ولا يرضى بالدون، فما هو السر إذن؟!

يقول الله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (إبراهيم:46) هذه حقيقة يخبرنا عنها رب العالمين الذي يعلم غيب السموات والأرض أن مكر المجرمين وأعداء الرسل كبير، كما في الآية الأخرى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ (نوح:22) إذن قد مكر بهذا الشعب لأنه مسلم ولا بد أن يأخذ حظه من هذا المكر ... وليس يعني هذا أن من مكر به فهو مغلوب على أمره، وأن اللوم دائماً نلقيه على أعدائنا وحدهم، لا ليس كذلك! فكل مسلم يحمل على عاتقه أمانة الطاعة لله ولرسوله وترك طاعة أعدائه من المجرمين، والمترفين، والملأ الذين استكبروا كما ساءلهم ربنا في كتابه الكريم. لكننا ندرك أن هذا المكر المتواصل والمتنوع في صورته يصيب ويخطئ، بل ربما أصاب في مقتل، لا سيما مع الجهل به وعدم الأخذ بالحذر المطلوب ... ولا شك أن أهل الجزائر قد نالهم من هذا المكر نصيب كبير، ومن نظر إلى حالهم وهوانهم علم ذلك يقيناً...

فما هي صور هذا المكر؟ حتى يتبين لنا اجتنابه وإصلاح ما عطب منا، ثم النهوض إلى السير من جديد على الصراط المستقيم الذي ليس لسائر يبغي النجاة دونه - يميناً أو شمالاً - نجاة.

ليعلم كل موحد أن نهج الطغاة - أعداء الرسل - واحد من قديم الزمان، كما أخبرنا الله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الذريات: 52 - 53) وقال جل وعلا: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد:42) يقول ابن كثير رحمه الله في تأويل هذه الآية: (يقول تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ برسلمهم، وأرادوا إخراجهم من بلادهم، فمكر الله بهم وجعل العاقبة للمتقين، كقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ يَوْمَئِذٍ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾

أي أنه تعالى عالم بجميع السرائر والضمائر وسيجزي كل عامل بعمله ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾، والقراءة الأخرى ﴿الكفار﴾، ﴿لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾، أي لمن تكون الدائرة والعاقبة لهم أو لأتباع الرسل، كلا، بل هي لأتباع الرسل في الدنيا والآخرة، والله الحمد والمنة).

نعم إذن، قد مورس على هذا الشعب أنواع من المكر والكيد.. وزاد من مقدار هذا المكر وجود المجاهدين الساعين لتحكيم الشريعة والخروج بأمتهم من ذل الاستعباد تحت وطأة حكم الطواغيت...

وأذكر أنه لما اشتعلت جذوة الجهاد في هذه الأرض منذ أزيد من عقدين، أسس هذا النظام الفاسد جمعية أسموها "جمعية إنقاذ الجزائر"، يعني إنقاذها من الإسلاميين زعموا، تفانيا منهم في محاربة الله ورسوله ورفض حكم الإسلام وتطبيق الشريعة على هذه الأرض الطيبة، فتنكروا لدين الله ولأمتهم وحتى لبني جلدتهم.

ضمت هذه الجمعية كل خبيث معادٍ لله ورسوله، موال لأعداء الله، وعبد من عبيدهم، من مختلف الأصناف؛ ما بين عسكري وسياسي، وبين مفكر وأديب وفنان، بل ومنهم الأطباء والرياضيين، المهم كلهم مجتمعون على حرب الإسلام وصد أبناء هذا الشعب عن الالتفاف حول المجاهدين ونصرتهم لإعلاء كلمة الله، كل من خلال عمله واختصاصه...

ولقد وفق الله المجاهدين في ذلك الوقت فقطفوا رؤوس بعضهم. وكان منهم الهالك "عبد الحق بن حمودة" آكل حقوق العمال الجزائريين.

ثم لم يزل هذا المكر متواصل تمده أحقادهم، وولأؤهم لأعداء الله من يهود ونصارى، فتحكموا في المنظومة التربوية، واستطاعوا - وخاصة بعد قدوم بوتفليقة - من نزع ما تبقى من رائحة الحياء في البرامج التعليمية، ومنه مادة التربية الإسلامية التي كان لها نصيب الوقت الضائع في جدول التوقيت الدراسي فأزالوها وأراحوا أنفسهم منها، وبالنسبة لقانون الأسرة الذي لم ير فيه الاستعمار الفرنسي، ولا الإنجليزي كبير خطر على سياستهم، فلذلك أبقوه ولم يتعرضوا له، ولكن المرتدين - أشد عدااء للدين ومحاربة للفضائل - أرادوا أن يلغوا هذا القانون بالكلية لأنه من الإسلام، وقد سمع العالم الضجة التي حدثت حول حكم زواج المرأة بلا إذن الولي.

أما المكر الذي يمارسه الإعلام في هذه البلاد؛ من تزيف للحقائق ومحاربة للفضيلة والعفة والديانة فوق كل وصف، فهم بحق إخوان الشياطين.. ولكل عاقل أن ينظر إلى الإذاعة وما تقدمه من برامج، هل يجد فيه مثقال ذرة من فائدة! أو التلفزيون وهل يجد فيه مثقال ذرة من إيمان!

وهل إذا نسي أحدهم ونظر فيه مدة يقول في نفسه هذا برنامج يقدم للمسلمين!
ناهيك عن الضرر العظيم في الدين والخلق والحياة الذي أصاب كل من أذمن مشاهدة هذه
البرامج الساقطة التافهة.

ومن الوسائل المؤثرة الصحف والجرائد التي لا تخدم سوى مصالح النظام الخبيث، ولا تنشر
وتروج إلا بضاعته الخاسرة، وأنت تعجب لهؤلاء الصحفيين الذين خانوا عهود هذه المهنة ولم يبالوا
بمصدقيتهم ودينهم وسلوكهم - إلا القليل القليل منهم - فارتضوا تجارة الكذب والبهتان، خاصة في
علاج القضايا الإسلامية وموضوع الجهاد بالتحديد، فهم حرب على المجاهدين، يرمونهم بكل نقيصة
إرضاء لأسيادهم ومسايرة لحملة الصليبيين على الإسلام وأهله...

أما البطش واستعمال القوة الرادعة من جيوش هذه الدولة، فليس لتحرير القدس من دنس
اليهود، ولا دفاعاً عن المستضعفين المضطهدين من الغرب وأمريكا، بل جيوشهم وأجهزتهم أمنهم وكل
ترسانتهم العسكرية هي لتثبيت ملكهم وإرساء دعائم حكم الطاغوت، والنيل من كل من نوى
أوسعى في إعادة حكم الشريعة، فالسجون السرية والعلنية معدة للدعاة والمخلصين من أبناء
الأمة.. وحسبنا الله ونعم الوكيل..

أما السبيل إلى الخروج من هذا الواقع الأليم، فإنه يحتاج إلى جهد كبير من المخلصين من أبناء
الجزائر، وعلى رأسهم أهل العلم العاملين، ليقوموا بتبصير أمتهم والدعوة إلى الله والجهاد في سبيل
الله، وأن يصدعوا بالحق ويكسروا حاجز الخوف الذي جعلهم في هامش الأحداث.. وعليهم أن
يهتموا بالمساجد ويسعوا إلى إعادتها كمركز توجيه للأمة، ومنار هدى، وكذا استغلال كل وسيلة
توصل صوت الحق لعموم المسلمين من نشرات وكتب ورسائل ومنتديات..

كما أنه لابد من تلاحم وترابط بين أنصار الدين، والسعي لتنظيم جهود العاملين، فإن في
الاجتماع قوة، ومن هنا نقترح تأسيس جمعية للعلماء والدعاة ترعى شؤون المسلمين وتقوم بوظيفة
الترشيد ونصرة الحق، على أن تكون هذه الجمعية قائمة على أساس من تقوى الله، والكفر
بالطاغوت، موالية للمؤمنين ومعادية لأعداء الدين، لا تعطي الدنية في الدين ولا تخاف في الله لومة
لأثم..

كما ندعو الأغنياء والموسرين أن يبذلوا شيئاً من أموالهم لأهل الجهاد، وأن يعينوا الفقراء
والمساكين ويستثمروا أموالهم لخدمة الدين وكفالة اليتامى والأرامل والمحتاجين، من خلال المشاريع
الخيرية، وسيجدون بإذن في ذلك الخير والبركة...

وفي الختام نعود إلى أهلنا في الجزائر، فيا أهلنا أجيئوا داعي الله، وخذوا بحظكم من الجهاد في سبيل الله، واعتبروا بإخوانكم في العراق والشام والصومال، ومصر وتونس، وليست مالي منكم ببعيد ..

إننا نعلم ونحن من أهل الجزائر، أن في هذه الأرض من الجنود المسلمة والأبطال الكماة ما يكفي بإذن الله لدحر الأعداء المترصين بنا والانتقام منهم جزاء إجرامهم وتجبرهم. ولذلك نحن نحثم ونحرضهم ونكون بإذن الله أمامهم لنصرة الدين، ولن نياس من نصرتهم للمجاهدين، كما أننا لم نياس من انتصار هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل...

وختاماً أذكر أهلنا بما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله محرضاً أهل زمانه على قتال التتار: (واعلموا - أصلحكم الله - أن من أعظم النعم على من أراد الله به خيراً أن أحياه إلى هذا الوقت الذي يجدد الله فيه الدين، ويحيي فيه شعار المسلمين، وأحوال المؤمنين والمجاهدين، حتى يكون شديداً بالسابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، فمن قام في هذا الوقت بذلك، كان من التابعين لهم بإحسان، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدون فيها أبداً، ذلك الفوز العظيم. فينبغي للمؤمنين أن يشكروا الله - تعالى - على هذه المحنة التي حقيقته منحة كريمة من الله، وهذه الفتنة التي باطنها نعمة جسيمة، حتى والله لو كان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار - كأي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وغيرهم - حاضرين في هذا الزمان، لكان من أفضل أعمالهم جهاد هؤلاء القوم المجرمين.

ولا يفوت مثل هذه الغزاة إلا من خسرت تجارتها، وسفه نفسه، وحرم حظاً عظيماً من الدنيا والآخرة، إلا أن يكون ممن عذر الله - تعالى - كالمريض، والفقير، والأعمى وغيرهم، وإلا فمن كان له مال وهو عاجز ببدنه فليغز بماله. ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من جهز غازياً فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا)).

اللهم، أهدنا وأهد بنا واجعلنا هداة مهتدين، اللهم أبرم لهذه الأمة أمرا رشدا يعز فيه أهل طاعتك
وينزل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر.
والحمد لله أولا وآخرا، والحمد لله رب العالمين.

كتبه الشيخ: أبو عبد الله عثمان حفظه الله
شوال 1434

